سلسلة دراسات في التفسير الموضوعي

احذر الخذلان

(الخذلان في ضوء القرآن والسنة والأدب)

جمع وتأليف

د. أحمد عمر النعمة

المقدمة

الحمد لله أكرم عباده الطائعين بالفوز المبين، وأوعد المجرمين والمشككين بالخذلان والعقاب الأليم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فموضوع دراستنا عن الخذلان الذي هو مرض خلقي قبيح، يجعل المتخلق به متجرداً عن الرحمة والواجب الإنساني والذي يلحق بالمرء لأسباب عديدة، فهو من الموضوعات المعاصرة والتي نحتاجها أكثر من أي وقت مضى فصفعة الخذلان تكون أشد إيذاء وشدة عندما تأتي من صديق حميم، أوشريك عزيز، أو قريب، أو جار، أو ولد وبنت، وأخ وأخت يعتمد عليهم اعتماداً مطلقاً فيحتمي بهم، أو يعتز بقوتهم أو بأموالهم ومناصبهم، ثم يأتي اليوم الذي يفر منه الجميع ولا يعترف به، فيدعوه تنهشه كلاب الإجرام والظالمين والانتهازيين دون حساب ولا تقدير.

لهذا لا بد من الحذر والانتباه إلى عدم التعلق والانحياز كلياً والاعتماد على بشر طبيعتهم التقلب والغدر والشطارة والحيل، هذا إذا كان هؤلاء أقارب أو أصحاب أو شركاء ممن يرجى منهم الخير، ولا يظن فيهم الغدر، فما

بالك بمن كان كافراً أو طاغياً أو مجرماً قاتلاً أو سارقاً فكيف يوثق بأمثال هؤلاء؟

وأيضاً الخذلان يكون أشد إيلاماً عندما يصدر من حكام أدعياء الإسلام، فهم وكلاء اليهود والمشركين في التنكيل والتعذيب والقتل والتخريب للذين آمنوا، بل أشد الناس عداوة من اليهود الموصوفين بذلك. ووكلاء أدعياء المسيحية من الانكليز والطليان والأوربيين وغيرهم الذين ملؤوا التاريخ بسواد فعالهم وتفننهم في قتل المسلمين الشرفاء في البلاد العربية والإسلامية من خلال زرع أذرع وأطقم كاملة تعمل عمل محاكم التفتيش التي اشتهروا بها في أخس طرق التعذيب والتقطيع والتنكيل. فهم يلبسون لبوس الدين والتدين ومهمتهم تمزيق الإسلام وسحق المسلمين وهذه وظيفتهم منذ تقلدوا مناصبهم.

وفي هذه الدراسة سأستعرض أصنافاً من ذوي الخذلان الذين جاء ذكرهم عبارة أو إشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية والتاريخ والأدب.

بين يدي البحث

الآيات التي فيها كلمة الخذلان إشارة أو لفظاً

١- (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا). الإسراء: ٢٢، عن قتادة رضي الله عنه في قوله: فتقعد مذموماً يقول: في نقمة الله مخذولاً في عذاب الله".[١] أي: ذليلًا مقهورًا؛ لأن الخذلان هو ضد النصر والعون؛ ألا ترى أنه قال: (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ. . .) الآية. ذكر الخذلان مقابل النصر؛ فعلى ذلك قوله: (مَخْذُولًا)، أي: مقهورًا ذليلاً غير منصور"[٢]

نتيجة الصحبة السيئة الندم والخذلان:

٢- قال تعالى: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولًا)، الفرقان:٢٩، أي: كثير الخذلان، والخِذْلَان: ترك من يظنّ به أن ينصر نصرته[٣]"هذه الآية نزلت في أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط، قال ابن عباس: صنع عقبة طعاما ودعا

---

[١] تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم٧/٢٣٢٣

[٢] تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)٧/٣٢ المؤلف: محمد، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ).

[٣] المفردات في غريب القرآن١/٢٧٧ المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)

أشراف مكة، فكان رسول الله ﷺ فيهم، فامتنع أن يطعم أو يشهد عقبة بشهادة الحق، ففعل ذلك، فأتاه أبي بن خلف وكان خليله فقال، أصبوت؟ فقال: لا، ولكن دخل علي رجل من قريش فاستحييت أن يخرج من منزلي ولم يطعم، فقال: ما كنت لأرضى حتى تبصق في وجهه، وتفعل به كذا وتفعل، ففعل ذلك. فأنزل الله – عز وجل – هذه الآية فيهما. والظالم هاهنا: عقبة، والمكنى عنه: أبي، ولم يسميا؛ لتكون الآية عامة في كل من فعل فعلهما".[٤] فالتشابه بين خذلان الشيطان، وخذلان الخليل خليله، أن كليهما "يوقع من يطيعه في المهالك ثم يتبرأ منه، وهذا معنى الخذول لأنه يقول يوم القيامة لا تلوموني ولوموا أنفسكم الآية ٢٢ من سورة إبراهيم كما قال في الدنيا لمن خذلهم «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرى ما لا تَرَوْنَ» الآية ٤٨ من الأنفال، وقد سمي خليله شيطاناً تشبيهاً بفعله بجامع الإغواء في كل أو انه نسب الجنوح إلى قول خليله إلى الشيطان إذ ينسب إليه كل فعل قبيح وهو المضل لخليله فكأنما أضله فعلا، وحكم هذه الآية عام في كل خليل أو حبيب اجتمعا في الدنيا على معصية الله فإنها تنقلب إلى عداوة وندامة وحسرة قال تعالى:(الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) الآية

[٤] النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه)١/٣٦٣ المؤلف: علي بن فَضَّال بن علي بن غالب المجَاشِعِي القيرواني، أبو الحسن (المتوفى: ٤٧٩هـ).

٦٧ من الزخرف "فلينظر أحدكم أيها الناس من يخالل"[٥]، فإنه يحشر معه، لأنه غالبا يكون على دينه، لأن هذا الذي نزلت فيه هذه الآية بعد أن دخل في الإسلام وتمكن به اغواه صاحبه حتى ردّه عنه فهلكا جميعا قال:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

نموذج من نصرة الصحابة رسول اللهﷺ:

٣-قال الله تعالى:(والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم..) قال ابن العربي: يريد بذلك الأنصار الذين آووا رسول الله ﷺ حين طرد، ونصروه حين خذل، فلا مثل لهم ولا لأجرهم.[٦]

نموذج من خذلان المنافقين رسول اللهﷺ:

٤-قال الله تعالى:(إن الذين يحادّون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم....) أوعد، جلّ وعلا، الذين يحادّون في هذا ونحوه من المنافقين، بأنّه سبحانه سيخذلهم كما خذل أمثالهم من قبلهم، ولهم بعد هذا عذاب

---

[٥] أخرجه أحمد برقم (٨٤١٧) وهو حديث حسن، إسناده جيد، رجاله ثقات رجال الشيخين غير موسى بن وردان، فقد روى له البخاري في "الأدب"، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والنسائي في "عمل اليوم والليلة"، وهو صدوق.

[٦] أحكام القرآن٤/٢١٧المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)

مهين، يوم يبعثهم فينبّئهم بما يكيدون به للإسلام في سرّهم، لأنه يعلم ما في السماوات والأرض، ولا يخفى عليه شيء مما يتناجى به الناس فيما بينهم."[٧].

الإذلال بالخذلان للعصاة:

٥- قال الله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، آل عمران: ٢٦. قال أبو حيان الأندلسيُّ: وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء قيل: بالتَّوفيق والعِرْفَان، وتُذِلُّ بالخِذْلَان".

الفاجر مخذول:

٦- قال الله تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)، الشَّمس: ٧-١٠، قال ابن زيد: جعل فيها ذلك، يعني بتوفيقه إيَّاها للتَّقوى، وخِذْلَانه إيَّاها للفجور، وقال الغزَّالي: فمهما وقع العبد في ذنب، فصار الذَّنب نقدًا، والتَّوبة نسيئة، كان هذا مِن علامات الخِذْلَان".

[٧] الموسوعة القرآنية، خصائص السور٩/١٦٠ المؤلف: جعفر شرف الدين.

نسيان الآخرة خذلان:

٧- قال الله تعالى: (كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ)، القيامة: ٢٠-٢١. قال الغزَّالي: فعبَّر عن المخذولين بقوله تعالى:(كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ).

الفصل الأول: تعاريف ومفاهيم

المبحث الأول: تعريف الخذلان

الخذل والخذلان: هو الترك في موضع يحتاج فيه إلى التارك. وأصله: من خذل الظبي، ولهذا قيل لها: خاذل إذا تركتها أمها. والخذلان: ترك العون؛ وكذلك الخذل، وخذلان الله تعالى للعبد: ألا يعصمه. قال الله تعالى: (وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده)، آل عمران:١٦٠، قال الطبري:" بعني: إن يخذلكم ربكم بخلافكم أمره وترككم طاعته وطاعة رسوله فيكلكم إلى أنفسكم ".

فمن ذا الذي ينصركم من بعده" يقول : فأيسوا من نصرة الناس ، فإنكم لا تجدون ناصراً من بعد خذلان الله إياكم إن خذلكم ، فلا تتركوا أمري وطاعتي وطاعة رسولي فتهلكوا بخذلاني إياكم ".[٨]

والخذلة: الكثير الخذلان".[٩] وخذلته وخذلت عنه من باب قتل والاسم الخذلان إذا تركت نصرته، وإعانته وتأخرت عنه وخذلته تخذيلاً حملته على

---

[٨] جامع البيان في تأويل القرآن ٢٤٧/٧.

[٩] شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم٣/١٧٤٥ المؤلف: نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)

الفشل وترك القتال."[١٠] والخذلان: هو عدم النصرة، والتخذيل: حمل الرجل على خذلان صاحبه، وتثبيطه عن نصرته، نقله الأزهري. وكل تارك: خاذل"[١١].

[١٠] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت ج١ ص١٦٥

[١١] تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققينج٢٨ ص٤٠٠.

المبحث الثاني: بين النصرة والخذلان

ذكر الله تعالى الخذلان مقابل النصر، فخاطب الله نلبيه، والمراد أمته قال تعالى: (لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموماً مخذولاً) الاسراء:٢٢. أي فتصير جامعاً على نفسك الذم والخذلان وقيل مشتوماً بالإهانة محروماً عن الإعانة إذ الخذلان ضد النصر والعون ودليله قوله تعالى: (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) حيث ذكر الخذلان بمقابلة النصر"[١٢]

قالت المعتزلة: أن نصر الله المؤمنين قد يكون على معنى نصرهم بالحجة كما قال: (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا)، وقد تكون النصرة بمعنى أن يزلزل أقدام الكافرين ويرعب قلوبهم فينهزموا فيكون ناصراً للمؤمنين عليهم وخاذلاً لهم بما طرحه من الرعب في قلوبهم، فإن انهزم المؤمنون لم يكن ذلك بخذلان من الله سبحانه لهم بل هم منصورون بالحجة على الكافرين وإن كانوا منهزمين.

---

[١٢] تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ج٢ ص٢٥١.

وقال أهل الإثبات: النصر من الله ما يفعله ويقذفه في قلوب المؤمنين من الجرأة على الكافرين وقد تسمى القوة على الإيمان نصراً."[١٣] .

إن كل الأمم المعاصرة تدعم أتباعها وتعينهم في البأساء والضراء خلا أهل الحق الذين خُذلوا أعظم الخذلان بسبب تفرقهم واختلافهم حتى في قضاياهم المصيرية.

لقد كان النصارى في أوربة قبل سنوات يجمعون التبرعات لصربيا وهي تذبح المسلمين وتنكل بهم تحت شعار: ادفع دولاراً أقتل لك به مسلماً، وكان المسلمون وقتها لا يزيدون على إغاثة من سيُقتلون ويُبادون. والشعوب النصرانية المؤيدة لليهود في هذه الأيام قد دعت إلى التبرع في بلاد الغرب تحت شعار: "ساهم لإنقاذ إسرائيل"، وأكبر شركة للتبغ أعلنت أنها تتبرع باثني عشر في المائة من أرباحها لدولة يهود، وهي تربح من مدخني العالم الإسلامي فقط ما يقارب مئة مليون دولار كل يوم ليذهب اثني عشر مليون منها لليهود، فهلا أقلع المدخنون عن الدخان نصرة لإخوانهم. وفي الوقت الذي يحس فيه أهل الباطل بواجبهم فيدعمون يهود في حربهم الجائرة تُحكم دول الجوار حصارها على أهل غزة لتقتلهم صبراً، وتمنع عنهم مساعدات

---

[١٣] مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ) ج١ ص٢٦٤

الدول الأخرى، ما أعظمه من خذلان! وما أشده من حصار! لا مسوغ له إلا اختلاف السياسات، وتحصيل مصالح خاصة، ولو سفكت فيها دماء الضعفاء، وقتلت قضايا الأمة ومصالحها الكبرى. إن هذا الخذلان العظيم الذي أصاب المسلمين بسبب تفرقهم واختلافهم لا رافع له إلا الله عز وجل، ونصر الله تعالى وتأييده ومدده يستجلب بطاعته، والانتهاء عن معصيته وإلا فإلى مزيد من الذل والهوان والخذلان."[١٤]

"لقد أصيبت أمة الإسلام في مقتل، عندما حالت تلك الحدود التي تفصل بين أقاليمها دون القيام بالحقوق التي أوجبها الله تعالى عليها بعقد الإيمان، بل تبلدت مشاعر كثير من المسلمين فلم تعد تحس بعمق الأسى الذي يصيب أعضاءها من أفراد المجتمع المسلم، وأصبحت صور القتل والدمار والتشريد والتمثيل والتنكيل وحالات الاغتصاب أمراً مألوفاً، يتابعه المتابع على شاشات الرائي في أحسن الأحوال كحدث من الأحداث، فلا يحرك فيه ساكناً، ولا يستنهض همة، ولا يستثير غيرة، ولا يدفع إلى والنبي ﷺ يقول: ‘‘من ردَّ عن عرض أخيه، ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة " [١٥]

[١٤] من أسباب الخذلان ص٣ الشيخ د. إبراهيم بن محمد الحقيل مقالات متعلقة تاريخ الإضافة: ٢٠٠٩/١/٤ ميلادي – ١٤٣٠/١/٧ هجري زيارة: ١٨٩٢١ الألوكة.

[١٥] أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن.

يقول النبي ﷺ: "ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته، وما من أحد ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته" [١٦]ورحم الله محمد إقبال إذ يقول:

إذا اشتكى مسلم في الصين أرقني وإذا بكى مسلم في الهند أبكاني

وتونس ريحانتي والشام نرجستي وفي الجزيرة تاريخي وعنواني

وحيثما يذكر اسم الله في بلد عددت أرجاءه من صلب أوطاني"[١٧]

[١٦] أخرجه أحمد وأبو داود وهو حسن.

[١٧] حقوق الإسلام في زمن الخذلان الأربعاء ٢٢ شعبان ١٤٣٣ - ١١ يوليو ٢٠١٢ ٧٦٩ بقلم: د. طه محمد فارس – الألوكة.

المبحث الثالث: من صور الخِذْلَان

خِذْلان المظلوم:

وقد عدَّها الهيتمي مِن الكبائر، وقال: "الكبيرة السَّادسة والسَّابعة والثَّامنة والتَّاسعة والأربعون والخمسون بعد الثَّلاثمائة: ظُلْم السَّلاطين والأمراء والقضاة وغيرهم مسلماً أو ذِمّياً بنحو أكل مال أو ضرب أو شتم أو غير ذلك، وخِذلان المظلوم مع القُدْرَة على نصرته، والدُّخول على الظَّلَمة مع الرِّضا بظلمهم وإعانتهم على الظُّلم والسِّعَاية إليهم بباطل".[١٨]

خذلان الأخ لأخيه عند الحاجة:

إذا نابت أخاك إحدى النوائب من زوال نعمة أو نزول بلية، فاعلم أنك قد ابتليت معه، إما بالمؤاساة، فتشاركه في البلية، وإما بالخذلان، فتحتمل العار. فالتمس المخرج عند أشباه ذلك، وآثر مروءتك على ما سواها، فإن نزلت الجائحة التي تأبى نفسك مشاركة أخيك فيها، فأجمل، فلعل الإجمال يسعك، لقلة الإجمال في الناس، وإذا أصاب أخاك فضل، فإنه ليس في دنوك منه، وابتغائك مودته، وتواضعك له مذلة، فاغتنم ذلك، واعمل به. إلى من تعتذر؟: لا تعتذرن إلا إلى من يحب أن يجد لك عذرًا، ولا تستعينن

[١٨] الزواجر عن اقتراف الكبائر المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ) ج٢ ص١٨٩.

إلا بمن يحب أن يظفرك بحاجتك، ولا تحدثن إلا من يرى حديثك مغنمًا، ما لم يغلبك اضطرار. وإذا اعتذر إليك معتذر، فتلقه بوجه مشرق، وبشر، ولسان طلق إلا أن يكون ممن قطيعته غنيمة. إذا غرست من المعروف غرسًا، وأنفقت عليه نفقة، فلا تضنن في تربية ما غرست، واستنمائه، فتذهب النفقة الأولى ضياعًا."[١٩] وجاء في السنة في وجوب عدم خذلان الأخ أخيه قوله ﷺ: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره".[٢٠] قوله: "ولا يخذله" أي: لا يترك نصرته الجائزة مع القدرة عند الحاجة لأن من حقوق أخوة الإسلام التناصر لقوله عز وجل: (وتعاونوا على البر والتقوى)، المائدة: ٤وقوله: (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر)، الأنفال: ٧٣ وقوله عليه الصلاة والسلام: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما" وسواء كان الخذلان دنيوياً مثل أن ترى عدوا يريد أن يبطش به فلا تعينه عليه، أو دينيا بأن ترى الشيطان مستولياً عليه في بعض الأعمال أو الأحوال يريد أن يستفزه ويهلكه في دينه فلا تعينه على الخلاص من حبالته بوعظ أو نحوه وكلا النوعين من الخذلان حرام".[٢١] "وقد قالت الحكماء: من لم يرغب

---

[١٩] الأدب الصغير والأدب الكبير المؤلف: عبد الله بن المقفع (المتوفى: ١٤٢هـ) الناشر: دار صادر – بيروت ج١ ص١٠٧.

[٢٠] أخرجه أحمد برقم (٧٧٢٧)، ومسلم برقم (٣٢).

[٢١] التعيين في شرح الأربعين المؤلف: سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوقي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى: ٧١٦ هـ) المحقق: أحمد حَاج محمّد عثمان ج١ ص٣٠٣.

بثلاث بُلِي بست: من لم يرغب في الإخوان بلي بالعداوة والخذلان، ومن لم يرغب في السلامة بلي بالشدائد والامتهان، ومن لم يرغب في المعروف بلي بالندامة والخسران، ولعمري إن إخوان الصدق من أنفس الذخائر وأفضل العدد؛ لأنهم سهماء النفوس وأولياء النوائب."[٢٢]

الخِذْلَان في الجهاد:

خِذْلَان المسلمين في الجهاد وعدم نصرتهم صفة مِن صفات المنافقين، قال الله تعالى فيهم:(وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) وروى الطَّبريُّ بإسناده مرسلًا قال: "خرج رسول الله يعني: حين خرج إلى أحدٍ في ألف رجل مِن أصحابه، حتى إذا كانوا بالشَّوط – بين أحدٍ والمدينة– انخذل عنهم عبد الله بن أبي ابن سلول بثلث النَّاس، فقال: أطاعهم فخرج وعصاني، والله ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيُّها النَّاس؟ فرجع بمن اتَّبعه مِن النَّاس مِن قومه مِن أهل النِّفاق وأهل الرِّيَب،

[٢٢] أدب الدنيا والدين المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) الناشر: دار مكتبة الحياة الطبعة: بدون طبعة تاريخ النشر: ١٩٨٦م ج١ص ١٦٤

واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة، يقول: يا قوم أذكِّركم الله أن تخذلوا نبيَّكم وقومكم عندما حضر مِن عدوِّهم. فقالوا: لو نعلم أنَّكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكنَّا لا نرى أن يكون قتال. فلمَّا استعصوا عليه، وأبوا إلَّا الانصراف عنهم، قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم، ومضى رسول الله ﷺ.

الخذلان مع كثرة العدد ووجود الفرقة:

الخذلان بسبب الفرقة، قال الله تعالى: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)، الأنفال: ٤٦ قال قتادة الريح: الحرب. التنازع هو الاختلاف، وهو سبب الهلاك في الدنيا والآخرة؛ لأن الله -عز وجل- قد عبر في كتابه بالخلاف الذي قضى به على عباده عن الهلاك في قوله: (ولا يزالون مختلفين)، هود: ١١٨ ثم قال: (ولذلك خلقهم)، فقال: خلقهم للخلاف. وقال آخرون: خلقهم ليكونوا فريقين في الجنة وفي السعير من أجل اختلافهم. وهذا كثير في القرآن الكريم، وقد أخبر الله تعالى أن مع الخلاف يكون الفشل، وهو الخذلان والضعف والكسل، فيتمكن العدو من المخالفين؛ لأنهم كانوا مدافعين كلهم دفاعاً واحداً فصار بعضهم يدافع

بعضاً، فتمكن العدو."[٢٣] فإن كان قلة العدد ليس شرطًا لوقوع الاستضعاف فقد يقع الاستضعاف والهزيمة مع الكثرة، والكثرة لا تغني شيئًا مع الفرقة والخذلان، قال تعالى: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ)، ولذلك جاء في الصحيح عن حذيفة -رضي الله عنه- قال: "كنا مع رسول الله ﷺ فقال: احصوا لي كم يلفظ الإسلام؟ قال: فقلنا: يا رسول الله، أتخاف علينا ونحن ما بين الست مئة إلى السبع مئة؟! قال: إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا قال: فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سرًّا".

وقد أخبر النبي ﷺالصحابة الكرام -رضي الله عنهم- عن تداعي الأمم فقال ﷺ: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها"، فقال ثوبان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: "لا، بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن"، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: "حب الدنيا وكراهية الموت"، وفي رواية: وكراهية القتال.

---

[٢٣] التوضيح لشرح الجامع الصحيح المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ) المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ج١٨ ص٢٤١.

والمراد أن الكفار وأمم الضلالة تقرب أن يدعو بعضهم بعضاً إلى الاجتماع لقتال المسلمين وكسر شوكتهم ليغلبوا على ما ملكوه من الديار، وحالهم كحال الفئة الآكِلَة عندما تتداعى إلى قصعة الطعام للأكل من غير مانع فيأكلونها صفواً من غير تعب، ونفى عليه الصلاة والسلام أن يكون هذا التداعي بسبب قلة العدد، بل بين أن السبب هو الغثاء الذي يصيب الأمة، والغثاء هو ما يحمله السيل من زبد ووسخ وشبههم به لقلة الشجاعة ودناءة القدر، والوهن هو الضعف.

ففي الحديث: "التحذير من الكثرة التي سببت فشل الأمة الإسلامية وجرأة أعدائها عليها، ليس لمجرد الكثرة بل لكراهية كل فرد الموت، باندماج الأعداء والمرجفين فيهم، واتحادهم مع الجبناء، فيصعب التحري، ويتكل كل فاقد العزيمة على غيره لتسلم له حياة قصيرة وإن كانت تعسة، فنزع الله من قلوب العدو المهابة من المسلمين، وهي أقوى دواعي النصر وسبب سرعة انتشار الدين في بادئ أمره".[٢٤]

[٢٤] الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي المؤلف: زياد بن عابد المشوخي الناشر: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م ج١ ص٩٣

الخذلان في الاغترار بعفو الله مع البقاء على المعصية:

من العصاة من يغتر بعفو الله وكرمه فيقول: إن الله كريم، وإنما نتكل على عفوه، فقد اعتمد هؤلاء المغرورون على رحمة الله تعالى وعفوه وكرمه فضيعوا أمره ونهيه، ونسوا أنه شديد العقاب، وأنه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين، "ومن اعتمد على العفو مع الإصرار على الذنب فهو كالمعاندة. قال معروف الكرخي: رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق."[٢٥]

الخذلان في التعلق بالشهوة والهوى:

قال ابن حزم: "وقد ذكر أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الرواندي في كتاب " اللفظ والإصلاح " أن إبراهيم بن سيار النظام رأس المعتزلة، مع علو طبقته في الكلام وتمكنه وتحكمه في المعرفة، تسبب إلى ما حرم الله عليه من فتى نصراني عشقه بأن وضع له كتاباً في تفضيل التثليث على التوحيد؛ فيا غوثاه!!! عياذك يا رب من تولج الشيطان ووقوع الخذلان."[٢٦]

---

[٢٥] الموسوعة الفقهية الكويتية صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت ج٣١ ص ١٩٠.

[٢٦] رسائل ابن حزم الأندلسي ج١ ص٢٧٩.

الخذلان في الدياثة:

وقد يعظم البلاء وتكلب الشهوة، ويهون القبيح، ويرق الدين حتى يرضى الإنسان في جنب وصوله إلى مراده بالقبائح والفضائح، كمثل ما دهم عبيد الله بن يحيى الأزدي المعروف بابن الجزيري، فإنه رضي بإهمال داره وإباحة حريمه والتعريض بأهله طمعاً في الحصول على بغيته من فتى كان علقه – نعوذ بالله من الضلال ونسأله الحياطة وتحسين آثارنا وإطابة أخبارنا – حتى لقد صار المسكين حديثاً تعمر به المحافل، وتصاغ فيه الأشعار، وهو الذي تسميه العرب الديوث – وهو مشتق من التدييث، وهو التسهيل، وما بعد تسهيل من تسمح نفسه بهذا الشأن تسهيل، ومنه بعير مديث، أي مذلل. ولعمري إن الغيرة لتوجد في الحيوان بالخلقة، فكيف وقد أكدتها عندنا الشريعة، وما بعد هذا مصاب، ولقد كنت أعرف هذا المذكور مستوراً إلى أن استهواه الشيطان، ونعوذ بالله من الخذلان، وفيه يقول عيسى بن محمد بن مجمل الخولاني:

يا جاعلاً إخراج حر نسائه شركاً لصيد جآذر الغزلان

إني أرى شركاً يمزق ثم لا تحظى بغير مذلة الحرمان"[٢٧]

[٢٧] رسائل ابن حزم الأندلسي ج١ ص٢٧٩.

الخذلان في مجالسة العصاة الخبثاء:

قال ابن حزم: أذكر أني كنت في مجلس فيه إخوان لنا عند بعض مياسير أهل بلدنا، فرأيت بين بعض من حضر وبين من كان بالحضرة أيضاً من أهل صاحب المجلس أمراً أنكرته وغمزاً استبشعته، وخلوات الحين بعد الحين، وصاحب المجلس كالغائب أو النائم، فنبهته بالتعويض فلم ينتبه، وحركته بالتصريح فلم يتحرك، فجعلت أكرر عليه بيتين قديمين لعله يفطن، وهما هذان:

إن إخوانه المقيمين بالأم س أتوا للزناء لا للغناء

قطعوا أمرهم وأنت حمار موقر من بلادة وغباء

وأكثرت من إنشادهما حتى قال لي صاحب المجلس: قد أمللتنا من سماعهما فتفضل بتركهما أو إنشاد غيرهما، فأمسكت وأنا لا أدري أغافل هو أم متغافل؛ وما أذكر أني عدت إلى ذلك المجلس بعدها، فقلت فيه قطعة منها:

أنت لا شك أحسن الناس ظنا ويقيناً ونية وضميراً

فانتبه إن بعض من كان بالأم س جليساً لنا يعاني كبيرا

ليس كل الركوع فاعلم صلاة لا ولا كل ذي لحاظ بصيرا"[٢٨]

[٢٨] رسائل ابن حزم الأندلسي ج١ ص٢٨٠

الخذلان في السفور والاختلاط المحرم:

قال الله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون)، النور: ٣٠، وقال تعالى: (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ...) النور :٣١ إلى آخر الآيات، وفيها تصريح الله جل وعلا بأمره كلا من الجنسين بغض الطرف عما لا يحل له من الآخر وإذا تأملت هذه الآداب السماوية المذكورة في هذه الآية علمت أن دعاة السفور إلى الاختلاط يعارضونها بفلسفة شيطانية يكمن من ورائها ضياع الشرف والعفاف، ويتحصل بسببها تدنيس الأعراض وتقذير الفرش وعدم سلامة الأنساب وعدم صفائها من أقذار الاختلاط".[٢٩]

الخذلان في التودد لليهود والنصارى:

احتج بعض دعاة القومية على جواز موالاة النصارى والاستعانة بهم بقوله تعالى: (لتجدن أشدَّ الناسِ عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدنَّ أقربَهم مودَّة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى)، المائدة: ٨٢ الآية، وزعموا

---

[٢٩] فتوى في تحريم التعليم المختلط (ضمن «المحاضرات» المطبوعة بـ «بآثار الشنقيطي») المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٢٥ - ١٣٩٣) الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ ج١ ص ١٥٨.

أنها ترشد إلى جواز موالاة النصارى لكونهم أقرب مودة للذين آمنوا من غيرهم، وهذا خطأ ظاهر وتأويل للقرآن بالرأي المجرد، المصادم للآيات المحكمات ، ولما ثبت في السنة المطهرة من التحذير من موالاة الكفار من أهل الكتاب وغيرهم وترك الاستعانة بهم، وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»[٣٠].

والواجب: أن تفسر الآيات بعضها ببعض، ولا يجوز أن يفسر شيء منها بما يخالف بقيتها، وليس في هذه الآية بحمد الله ما يخالف الآيات الدالة على تحريم موالاة الكفار من النصارى وغيرهم، وإنما أتي هذا الداعية من سوء فهمه وتقصيره في تدبر الآيات، والنظر في معناها والاستعانة على ذلك بكلام أهل التفسير المعروفين بالعلم والأمانة والإمامة، ومعنى هذه الآية على ما قال أهل التفسير، وعلى ما يظهر من صريح لفظها أن النصارى أقرب مودة للمؤمنين من اليهود والمشركين، وليس معناها أنهم يوادون المؤمنين، ولا أن المؤمنين يوادونهم، ولو فرض أن النصارى أحبوا المؤمنين، وأظهروا مودتهم لهم لم يجز لأهل الإيمان أن يوادّوهم ويوالوهم؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد نهاهم عن ذلك في الآيات السالفات ومنها قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء)المائدة: ٥١

[٣٠] أخرجه النسائي برقم (٨٠٣٠).

الآية. وقوله تعالى: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادَّ الله ورسوله)، المجادلة: ٢٢ الآية، ولا ريب أن النصارى من المحادين لله ولرسوله، النابذين لشريعته، المكذبين له ولرسوله عليه أفضل الصلاة والسلام. فكيف يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يوادوهم أو يتخذهم بطانة؟ نعوذ بالله من الخذلان وطاعة الهوى والشيطان.

وزعم آخر من دعاة القومية أن الله سبحانه قد سهل في موالاة الكفار الذين لم يقاتلونا ولم يخرجونا من ديارنا، واحتج على ذلك بقوله تعالى: (لا ينهاكُمُ اللهُ عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تَبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) الممتحنة: ٨ وهذا كالذي قبله احتجاج باطل، وقول في القرآن بالرأي المجرد، وتأويل للآية على غير تأويلها. والله سبحانه حرم موالاة الكفار ونهى عن اتخاذهم بطانة في الآيات المحكمات، ولم يفصل بين أجناسهم ولا بين من قاتلنا ومن لم يقاتلنا، فكيف يجوز لمسلم أن يقول على الله ما لم يقل، وأن يأتي بتفصيل من رأيه لم يدل عليه كتاب ولا سنة؟ وإنما معنى الآية المذكورة عند أهل العلم: الرخصة في الإحسان إلى الكفار، والصدقة عليهم إذا كانوا مسالمين لنا بموجب عهد أو أمان أو ذمة، وقد صح في السنة ما يدل على ذلك، كما ثبت في الصحيح "أن أم أسماء بنت أبي بكر قدمت عليها في المدينة في عهد النبي ﷺ وهي مشركة تريد الدنيا، فأمر النبي ﷺ أسماء أن تصل أمها، وذلك في

مدة الهدنة التي وقعت بين النبي ﷺ وبين أهل مكة"، وصح عن النبي ﷺأنه أعطى عمر جبة من حرير فأهداها إلى أخ له بمكة مشرك». فهذا وأشباهه من الإحسان الذي قد يكون سببا في الدخول في الإسلام والرغبة فيه وإيثاره على ما سواه، وفي ذلك صلة للرحم، وجود على المحتاجين، وذلك ينفع المسلمين ولا يضرهم، وليس من موالاة الكفار في شيء كما لا يخفى على ذوي الألباب البصيرة."[٣١]

الخذلان في الشدة:

ومنها: الموالاة في الرخاء والخذلان في الشدة، المشاركة في الرخاء والخذلان في الشدة " من أمثالهم في ذلك: "يربض حجرة ويرتعي وسطا". ومثله:

مواليا إذا افتقروا إلينا ... وإن أثروا فليس لنا موالي

وقريب منه:

لا أعرفنك بعد الموت تندبني ... وفي حياتي ما زودتني زادي

[٣١] نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة ج١ ص٣٥.

ومنها: ترك التآخي: قال الماورديُّ: ‘‘قالت الحكماء: مَن لم يرغب بثلاث بُلِيَ بستٍّ: مَن لم يرغب في الإخوان بُلِيَ بالعداوة والخِذْلَان".

الخذلان في الاعتماد على القرآن دون السنة:

قال الأوزاعي الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب قال أبو عمر يريد أنها تقضي عليه وتبين المراد منه وهذا نحو قولهم تركت الكتاب موضحاً للسنة وتركت السنة موضحاً للرأي وعن الأوزاعي قال قال يحيى ين كثير: السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب قاضياً على السنة.

وقال الفضل بن زياد سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل وسئل عن الحديث الذي روي أن السنة قاضية على الكتاب فقال ما أجسر على هذا أن أقوله ولكني أقول إن السنة تفسر الكتاب وتبينه.

قال أبو عمر الآثار في بيان السنة لمجملات التنزيل قولاً وعملاً أكثر من أن تحصى وفيما لوحنا به كفاية وهداية والحمد لله قال أبو عمر أهل البدع أجمع أعرضوا عن السنن وتأولوا الكتاب على غير ما بينته السنة فضلوا وأضلوا نعوذ بالله من الخذلان".[٣٢]

[٣٢] إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار المؤلف: صالح بن محمد بن نوح بن عبد الله العَمْري المعروف بالفُلَّاني المالكي (المتوفى: ١٢١٨هـ) الناشر: دار المعرفة – بيروت ج١ ص٤٨.

الخذلان في احتكار قوت الناس:

الاحتكار لغة: احتباس الشيء انتظاراً لغلائه والاسم الحكرة بالضم والسكون كما في القاموس، وشرعاً: اشتراء طعام ونحوه وحبسه إلى الغلاء أربعين يوما لقوله ﷺ "من احتكر على المسلمين أربعين يوماً ضربه الله بالجذام والإفلاس».

وفي رواية «فقد برئ من الله وبرئ الله منه" قال في الكفاية: أي خذله والخذلان، ترك النصرة عند الحاجة اهـ وفي أخرى «فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً" الصرف: النفل، والعدل الفرض. والاحتكار حرمه الشارع ونهى عنه لما فيه من الجشع والطمع وسوء الخلق والتضييق على الناس.."[٣٣]

[٣٣] رد المحتار على الدر المختار المؤلف: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ) الناشر: دار الفكر-بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ج٦ ص٣٩٨.

المبحث الرابع: الخذلان الشخصي والفقهي

الخذلان في سوء النية:

فأما النية فهي رأس الأمر وعموده وأساسه وأصله الذي عليه يبنى، فإنها روح العمل وقائده وسائقه، والعمل تابع لها وعليها يبنى، يصح بصحتها ويفسد بفسادها وبها يستجلب التوفيق وبعدمها يحصل الخذلان وبحسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والآخرة، فكم بين مريد بالفتوى وجه الله ورضاه والقرب منه، وما عنده، ومريد بها وجه المخلوق ورجاء منفعته، وما يناله منه تخويفاً أو طمعاً فيفتي الرجلان بالفتوى الواحدة وبينهما في الفضل والثواب أعظم مما بين المشرق والمغرب هذا يفتي لتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر ورسوله هو المطاع، وهذا يفتي ليكون قوله هو المسموع، وهو المشار إليه وجاهه هو القائم سواء وافق الكتاب والسنة أو خالفهما فالله المستعان، وقد جرت عادة الله التي لا تبدل وسنته التي لا تحول أن يلبس المخلص من المهابة والنور والمحبة في قلوب الخلق وإقبال قلوبهم إليه ما هو بحسب إخلاصه ونيته ومعاملته لربه، ويلبس المرائي اللابس ثوبي الزور من المقت والمهانة والبغضة ما هو اللائق به، فالمخلص له المهابة والمحبة،

وللآخر المقت".[٣٤] وضدّ التوفيق الخذلان، قال بعضهم: التحقيق أن التوفيق التمكين من الطاعة، والإقدار عليها، والخذلان التمكين من المعصية، والإقدار عليها، كما أن الهداية الموصلة هي خلق الاهتداء، والإضلال خلق الضلال"[٣٥] فأما الخذلان فإنهم اختلفوا فيه على ثلاثة أقاويل: فقال بعضهم: الخذلان هو ترك الله سبحانه أن يحدث من الألطاف والزيادات ما يفعله بالمؤمنين كنحو قوله: والذين اهتدوا زادهم هدى فترك الله سبحانه أن يفعل هو الخذلان من الله للكافرين، وقال بعضهم: الخذلان من الله سبحانه هو تسميته إياهم والحكم بأنهم مخذولون، وقال بعضهم: الخذلان عقوبة من الله سبحانه وهو ما يفعله بهم من العقوبات، وقال أهل الإثبات قولين: قال بعضهم: الخذلان قوة الكفر، وقال بعضهم: خذلهم أي خلق كفرهم."[٣٦]

[٣٤] إعلام الموقعين عن رب العالمين المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ) ج٦ ص١٠٦.

[٣٥] قرة عين المحتاج في شرح مقدمة صحيح مسلم بن الحجاج المؤلف: محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الولوي الناشر: دار ابن الجوزي الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ ج١ ص٢٣٥.

[٣٦] مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ج١ ص٢٦٥

الخذلان في التعلق بالفاني:

"والعاقل لا ينبغي له أن يتوكل على من يموت ويفنى. وقال بعضهم: الاعتماد على الغني غايته الفقر، والاعتماد على القوّة آخره الضعف، والاعتماد على الخلق هو طريق الخذلان، ومن اعتمد على سوى الله وتوكل على غيره فقد ضيع وقته وخاب سعيه، لأن الحيّ الذي لا تجري عليه فنون العوارض دعاك إليه بألطف دعواه فقال (وتوكل على الحي الذي لا يموت)."[٣٧] فالاهتمام والتعلق الشديد رجاء النفع من قبل الإنسان لأخيه الإنسان له وجه سلبي غير منظور لا يجب الاعتماد عليه في المطلق، لأن كل شيء من حولنا متغير وعرضة للزوال، ولا شيء يدوم إلا وجه الله الكريم الذي لا ينقطع عطاؤه، ولا يمن على نواله وإمداده، فهو الوحيد يعطي دون مقابل، ويعفو دون سبب، أليس هو الخالق الرازق، لذا بين إلهيته وعظمته في قوله سبحانه وتعالى:(كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً)، والعظمة هي الأمر المتساوي لا يخضع لمقاييس بشرية، لأنها منفعلة ابتداء، وقيمتها وميزانها واحداً، فهي مصدر وأساس لا تعنيه المتخالفات والمتناقضات ففي مسألة الرزق الله العظيم يرزق

[٣٧] دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين المؤلف: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ) اعتنى بها: خليل مأمون شيحا الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ج٢ ص٢٦٥.

الكافر والمؤمن ، والصغير والكبير، والانسان والحيوان طالما خلقه فهو متكفل فيه منذ أن يكون في رحم أمه وإلى أن يكون في رحم الأرض، لذلك كله طالما أنه المصدر (لا يسأل عما يفعل وهو يسألون). تلك الزيادة في الاهتمام بالشيء بالنسبة للمخلوق والتعلق به تؤدي إلى صفعة غير محسوبة، وخذلان قاصم للظهر أليم، يبعثر الأحلام، ويقضي على المشاريع، ويشتت التفكير، ويؤدي إلى الاندهاش النفسي، والانهيار البدني، والطموح الهزيل، والأسى الشديد، لذلك من تعلق بغير الله ذل، ومن تعلق بغير الله مل، ومن رجا حاجة في وقت الشدة والعسر من غير الله نال صفعة الخيبة، والذل المهين. فكم من أب علق آماله على أولاده، مات في دار العجزة، وكم أم رجت من بناتها الخدمة هجروها وألوا عليها، وكم من أخ استند إلى أخيه ولما جد الجد باعه وأكل وماله، وكم من الناس من خان أهله وعشيرته وأقرب الناس إليه والديه، لذلك ترسيخ موضوع الحق والواجب، ثم الحذر الشديد في التعامل مع جميع أصناف البشر، ثم التعلق بمنهج الله وشرعه، لا بالأشخاص والأشياء، وإلا جاءته صفعة الخذلان.

الخذلان في خشوع النفاق:

ومن جميل كلام ابن الحاج وهو يصف توجيه إبليس لأدعياء الإخلاص:" واعلم أن العبد إن قال أنا أعمل لله لا للناس قال له: صدقت أخلص عملك لله فإن المخلص يحببه الله إلى الناس، ويعرفهم فضله فإن قال العبد: وما حاجتي إلى الناس قال: فأنت الآن المخلص الذي قد أخرجت الناس من قلبك، وعرفت مكيدة إبليس، وقد نجوت، وأنت معصوم فإن عقل العبد، وقال له: ومن أنا، وإنما الأعمال مَنٌّ مِنَ الله على العباد، ولها شكر، وإنما الأعمال بخواتيمها، وإنما الثواب على الله يوم الجزاء لمن أخلص، ولم يعجب بعمله، ولم ينسب إلى نفسه نعمة هي من الله قد وجب له بها عليه الشكر فإنه يقول للعبد عند ذلك: الآن نجوت حين اعترفت لله بذلك، وقمت بشكر النعمة، وتواضعت لربك، وبرأت نفسك من العمل، ونسبته إلى الذي هو منه فإن قبلت ذلك منه هلكت، ولكن قل أنا أرجو، وأخاف، وليس إلي من النجاة شيء، ولست أدري بما يختم لي عملي. وإياك ثم إياك، والتزين بترك التزين، وذلك أنه ربما تزين الرجل بالرقاع، والخرق، والشعث، وترك الدنيا، وإنما يريد بذلك كله التزين فإن فعلت ذلك نزلت بمحلة خشوع النفاق، وإن عرفت نفسك بشيء من ذلك، ولم تسارع إلى التحول عنه

خفت أن يلحقك الخذلان، والمقت فاتق الله في جميع أمورك، واعمل له كأنك تراه."[٣٨]

[٣٨] المدخل المؤلف: أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (المتوفى: ٧٣٧هـ) الناشر: دار التراث ج٣ ص٤٩.

الخذلان في وضع الوشم على الجلد:

الوشم حرام: عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : "لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله" والواشمة هي من تغرز إبرة أو مسلة أو نحوهما في ظهر الكف أو المعصم أو الشفة أو غير ذلك من بدن المرأة حتى يسيل الدم، ثم تحشو ذلك الموضع بالكحل أو النورة فيخضرَّ، ومن تطلب فعل ذلك بها فهي المستوشمة، وهذا حرام على الفاعلة والمفعول بها باختيارها والطالبة لذلك، وقد يُفعل بالبنت الصغيرة فتأثم الفاعلة، ولا إثم البنت لعدم تكليفها حينئذٍ. وقد انتشرت هذه الأيام بين الفتيات ظاهرة دق الوشم، الذي اتخذ شكلًا جديدًا من حيث المكان الذي يتم فيه الوشم، حيث تسلل إلى صدور الفتيات وبطونهن (!!) فتكشف الفتاة عن عورتها مرة أمام من يقوم بتلك المهمة المنكرة – وقد يكون رجلًا– في محلات (الكوافير)!! التي خصصت قسمًا بها لدق الوشم وبأسعار باهظة!! ثم تكشف هذه العورة مرات أخرى أمام الجميع لتظهر هذه النقوش، إنها "الموضة" نعوذ بالله من الخذلان!!"[٣٩]. والوشم في الرجال اليوم من مظاهر الإضرار بالخِلقة التي خلقها الله –تعالى– لبني آدم

[٣٩] صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة المؤلف: أبو مالك كمال بن السيد سالم ج٣ ص٦٦.

وشم الجسم بالرسومات المختلفة أو التصاميم، ففيه تغيير الصورة التي أوجد الله عليها البشر.

والحِكمة من تحريم الوشم اختلف الفُقَهاء في الحكمة من تحريم الوشم، فقيل: لأنّ فيه إخفاءً للعيوب وغِشّاً وتزييفاً؛ للحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ، قال: "لعن اللهُ الواشماتِ والمستوشماتِ، والنامصاتِ والمتنمّصاتِ، والمتفلّجاتِ للحُسنِ المغيّراتِ خلقَ اللهِ"[٤٠] وذهب جمهور الفقهاء إلى أنّ الحكمة من تحريم الوشم هي عدم تغيير خلق الله تعالى، ولِما في الوشم من تعذيبٍ لجسم الإنسان دون حاجةٍ أو ضرورةٍ لذلك، واستدلّ جمهور الفقهاء بقول الله تعالى: (وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا)، النساء:١١٩ ووجه الدلالة من الآية الكريمة، أنّ المقصود بتغيير خلق الله هو: الواشم، وقال بهذا الصحابيّ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، والحسن البصري."[٤١]

---

[٤٠] مسلم برقم:(٢١٢٥) عن عبد الله بن مسعود.

[٤١] ما هو حكم الوشم في الاسلام، بقلم طلال مشعل – آخر تحديث: ٠٨:٥٨، ٩ يوليو ٢٠١٩، من موقع موضوع كوم.

الخذلان في تأخير الفطر وتعجيل السحور:

ما جاء في الحديث عن سهل بن سعد الساعدي – رضي الله عنه –: أن رسول الله ﷺ قال: "لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر". [٤٢]عجيل الفطر والحض عليه، فلأمرين: أحدهما: منصوص عليه في "سنن أبي داود"، والنسائي، وابن ماجه، من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: "لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر؛ لأن اليهود والنصارى يؤخرون"، فجعل ﷺ العلة في التعجيل مخالفة أهل الكتاب في التأخير.

الأمر الثاني: مستنبط، وهو أنه ﷺ إنما حض على التعجيل للفطر؛ لئلا يزاد في النهار ساعة من الليل، فتكون زيادة في فروض الله تعالى، ولأن ذلك أرفق بالصائم، وأقوى على الصيام، وأما كون الناس بفعله بخير، وأن الدين لم يزل ظاهراً بتعجيله؛ فلما فيه من إظهار السنة؛ فإن الخير كله في متابعتها، والشر كله في مخالفتها، وفعلها كالعلم على صلاح الدين والأمور كلها، وتركها كالعلم على فساد الدين والأمور كلها، حتى إن الصحابة – رضي الله عنهم – كانوا إذا خذلوا في أمر، فتشوا على ما تركوا من السنة، فإذا وجدوه، علموا أن الخذلان إنما وقع بترك تلك السنة، فلا يزال أمر الأمة منتظماً، وهم بخير، ما داموا محافظين على سنة تعجيل الفطر، وإذا أخروه،

[٤٢] أخرجه أحمد برقم (٢٢٨٧٠) والبخاري برقم (١٩٥٧).

كان علامة على فساد يقعون فيه، وفي الحديث دليل على استحباب تعجيل الفطر، بعد تحقق غروب الشمس، وقد اتفق العلماء عليه، وفيه: الرد على المتشيعة الذين يؤخرون الفطر إلى ظهور النجم، ولعل المراد بالحديث الرد عليهم، وفيه: الحث على اتباع السنة، وترك مخالفتها، وأن فساد الأمر بتركها".[٤٣]

[٤٣] العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام المؤلف: علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان بن سليمان، أبو الحسن، علاء الدين ابن العطار (المتوفى: ٧٢٤ هـ).

الخذلان في ترك الجمعة دون عذر شرعي:

"لينتهين أقوام عن ودعهم تركهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين "[٤٤] هذا الحديث من أعظم الزواجر عن ترك الجمعة والتساهل فيها، وفيه إخبار بأن تركها من أعظم أسباب الخذلان بالكلية، والإجماع قائم على وجوبها على الإطلاق، والأكثر أنها فرض عين وقال في معالم السنن إنها فرض كفاية عند الفقهاء."[٤٥]،كما يتمثل سخط الله وغضبه على الذين تركوا القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الخذلان والهزيمة، وتمكن العدو منهم، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: "إذا رأيت أمتي لا يقولون للظالم منهم أنت الظالم، فقد تودع منهم".[٤٦] أي: أستريح منهم وخذلوا، وخلي بينهم وبين ما يرتكبون من المعاصي.

ثانيا: من العقوبات تمكن الباطل وسيادته، وذلك يؤدي إلى أن تتحول الأرض إلى بؤرة من الشر والفساد قال الله تعالى: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) البقرة: ٢٥١ وقال سبحانه: (ولولا دفع

---

[٤٤] أخرجه مسلم في باب صلاة الجمعة.

[٤٥] سبل السلام ص٣٩٧ المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ).

[٤٦] أخرجه أحمد برقم (٦٥٢١)

الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً)، الحج: ٤٠. وقال النبي ﷺ: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فكان بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا، فلم نؤذ من فوقنا فلو تركوا وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً".[٤٧]

ثالثاً: إعطاء الكسالى والمقصرين من الناس المبرر للقعود بدعوى أنهم لم يجدوا من يرشدهم، ويأمرهم وينهاهم ويدلهم على الله تعالى.

رابعاً: تضييع طائفة كبيرة من الناس تتمتع بنفس شفافة وفطرة نقية، ولكن صرفتها عن الالتزام بالإسلام والعمل له صوارف الحياة، ولعل هذا والذي قبله مما نفهمه من قول الله تعالى: (وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون)، الأعراف: ١٦٤.

خامسا: مقت الرأي العام المسلم الحر الذي يحرس آداب الأمة، وأخلاقها وفضائلها، وحقوقها، ويجعل لها الشخصية وسلطانا هو أقوى من القوة، وأنفذ من القانون. سادسا: فقدان الناس لمعنى الأمن في أنفسهم، وفي

[٤٧] أخرجه أحمد برقم (١٨٣٦١) والبخاري برقم (٢٤٩٣) وغيرهما.

أهليهم وذويهم وأموالهم الأمر الذي يؤدي إلى الكسل والتواني، والقعود عن أداء الواجب، وقد أشار الحديث إلى كل هذه العواقب؛ حيث قال -صلى الله عليه وسلم-: "أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم". فهذه هي عواقب ترك الحسبة والقعود عنها والتخلي."[٤٨]

[٤٨] الحسبة كود المادة: GDWH١٣٣ه المرحلة: ماجستير المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية الناشر: جامعة المدينة العالمية ج١ ص٣٨٩.

الخذلان في عدم الصدق والأمانة والحياء:

"إذا رأيت من أخيك ثلاث خصال فارجه الحياء والأمانة والصدق" أي فأمل أن ينتفع برأيه ومشورته أو فارج له الفلاح والفوز بالنجاح لما لاح فيه من مخايل الخير وأمارات الرشد التي من ثمرات هذه الخصال وهي: "فإنها أمهات مكارم الأخلاق فإذا وجدت في عبد دل على صلاحه فيرتجى ويرجى له الفلاح. وقدم الحياء في الذكر لأنه أصل ما بعده وأسه وعنه يتفرع ومنه ينشأ وإذا لم ترها مجتمعة فيه " فلا ترجه" لشيء مما ذكر ولا يؤمل فلاحه لأنها إذا لم تجتمع في إنسان دل على قلة مبالاته بالعاقبة وجرأته على الله وعلى عباده. والغرض: الإيذان بأنه من أهل الخذلان فإنه يخلى وشأنه."[٤٩].

[٤٩] فيض القدير شرح الجامع الصغير ج١ص٣٣٥.

الفصل الثاني: الخذلان المعرفي والعلمي، وفيه مباحث:

المبحث الأول: الخذلان المعرفي

عدم معرفة هداية الله تعالى:

قال تعالى: (وهديناه النجدين)، وقال: (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً)، وهديناه السبيل أي بينا له طريق الخير والشر وقيل: هي المعرفة فمن سبقت له العناية الأزلية وهي التوفيق اهتدى وسلك طريق الخير ومن لم تسبق له العناية أضله الله وصرفه عن طريق الخير. فهداية المهتدين وسلوكهم طريق الخير إنما هو بفضل الله عز وجل إذ ليس ذلك عوضاً من شيء ولا سابقة استحقاق للعبد ولا يجب ذلك على الله تعالى بل هو فضل محض والإضلال والخذلان منه عدل إذ هو تعالى مالك لجميع الأشياء ولا حجر عليه فيها وذلك نفى الله تعالى الظلم عن نفسه فقال تعالى: (وماربك بظلام للعبيد)"[٥٠] قال زروق:" فهدى من وفقه بفضله وأضل من خذله بعدله، لما ذكر منه الله على عبد بوجوده وموجوده وقيام حجته عليه في أوامره ونواهيه ذكر أن التوفيق إليها والهداية لها من فضل الله ورحمته وأن

---

[٥٠] شرح ابن ناجي التنوخي على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني المؤلف: قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني (المتوفى: ٨٣٧هـ) أعتنى به: أحمد فريد المزيدي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م ج١ ص٩.

الإضلال عنها والخذلان فيها من قضائه وعدله فعاد الأمر إليه كما بدأ منه وقد ذكر الشيخ هنا ستة أشياء ثلاثة تقابلها ثلاثة: الهداية: ويقابلها الضلال، والتوفيق: ويقابله الخذلان، والفضل: ويقابله العدل فالتوفيق من فضله تعالى والخذلان من عدله عز وجل والهداية نتيجة التوفيق كما أن الخذلان نتيجة الضلال والتوفيق توجه الإعانة من الله لعبده بهدايته أي إرشاده لما يوافق أمره التكليفي بخلق القدرة على ما يريده منه مع ما يريد منه في محل العبد والخذلان صرف الإعانة من الله تعالى عن العبد بإضلاله أي إتلافه عن موافقة أمره التكليفي بخلق القدرة على مخالفة أمره مع مخالفته في حال العبد فرجع التوفيق والخذلان للموافقة والصرف والهداية والضلال للإرشاد والتلف وذلك أصلها لغة عند تحقيق النظر".[٥١]

[٥١] شرح زروق على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني ج١ ص١٦.

عدم معرفة أول ما يجب على المكلف:

أول ما يجب على المكلف: تصحيح إيمانه ثم معرفة ما يصلح به فرض عينه كأحكام الصلاة والطهارة والصيام. (ويجب) عليه أن يحافظ على حدود الله ويقف عند أمره ونهيه ويتوب إلى الله سبحانه قبل أن يسخط عليه. (وشرو التوبة) الندم على ما فات، والنية ألا يعود إلى ذنب فيما بقي عليه من عمره، وأن يترك المعصية في ساعتها إن كان متلبسا بها، ولايحل له أن يؤخر التوبة، ولا يقول: حتى يهديني الله فإنه من علامات الشقاء والخذلان وطمس البصيرة. (ويجب) عليه حفظ لسانه من الفحشاء والمنكر، والكلام القبيح، وأيمان الطلاق، وانتهار المسلم وإهانته، وسبه وتخويفه في غير حق شرعي. (ويجب) عليه حفظ بصره عن النظر إلى الحرام، ولا يحل له أن ينظر إلى مسلم بنظرة تؤذيه إلا أن يكون فاسقا فيجب هجرانه.

(ويجب) عليه حفظ جميع جوارحه ما استطاع، وأن يحب لله ويبغض له ويرضى له ويغضب له، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. ويحرم عليه الكذب والغيبة والنميمة والكبر والعجب والرياء والسمعة والحسد والبغض ورؤية الفضل على الغير، والهمز واللمز والعبث والسخرية، والزنا، والنظر إلى الأجنبية، والتلذذ بكلامها، وأكل أموال الناس بغير طيب نفس والأكل بالشفاعة أو بالدين وتأخير الصلاة عن أوقاتها. ولا يحل له صحبة فاسق،

ولا مجالسته لغير ضرورة، ولا يطلب رضا المخلوقين بسخط الخالق، قال الله سبحانه وتعالى: (والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين). وقال عليه الصلاة والسلام: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». ولا يحل له أن يفعل فعلا حتى يعلم حكم الله فيه ويسأل العلماء ويقتدي بالمتبعين لسنة محمد ﷺ"[٥٢]

[٥٢] متن الأخضري في العبادات على مذهب الإمام مالك المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الصغير الأخضري (المتوفى: ٩٨٣هـ) الناشر: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر ج١ ص٢.

عدم معرفة معنى المصلحة في الشريعة:

والمصلحة عند علماء الشريعة الإسلامية هي: "المنفعة التي قصدها الشارع الحكيم لعباده، من حفظ دينهم ونفوسهم وعقولهم ونسلهم وأموالهم طبق ترتيب معين فيما بينها"[٥٣]. وأعني بالمصلحة المبنية على كمال العلم والحكمة، فالله يحكم لأنه عليم وهم لا يعلمون، والله يفرض لأنه حكيم وهم يتبعون الهوى".[٥٤] وعرفها الطوفي بحسب العرف: "بأنها السبب المؤدي إلى الصلاح والنفع كالتجارة المؤدية إلى الربح" وبحسب الشرع: "بأنها السبب المؤدي إلى مقصود الشارع عبادة أو عادة"[٥٥]. فالمصالح عند الطوفي هي الوسائل إلى الصلاح، وعند الرازي هي الوسائل والمقاصد جميعاً قال سيد في ظلاله: ‘‘ونرى أن المصلحة هي الغاية، وما يؤدي إليها وسيلة، وتسمية الوسيلة مصلحة باعتبار إفضائها إليها لا أنها هي، ولا بد من الفصل بينهما، لأن من الوسائل ما قد يتغير أو ينسخ دون المقاصد".[٥٦] فالمصلحة: "هي مقتضى العقول القويمة والفطر السليمة من الرشاد، ما يحقق مقصود الشارع والعباد من صلاح المعاش والمعاد"، والقصد من ‘‘هي

---

[٥٣] المحصول في علم أصول الفقه للرازي

[٥٤] في ظلال ج١ ص٥٩٣.

[٥٥] المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي للدكتور مصطفى زيد ص ٢٣ نقلا عن أصول التشريع الإسلامي للأستاذ علي حسب الله ص ١٣٥.

[٥٦] أصول التشريع الإسلامي لابن عاشور. ص١٣٥.

مقتضى العقول القويمة": أي غير المصابة بمرض الشهوة أو الشبهة كالتي تزعم أن الجمع بين الجنسين في مرافق المجتمع من مدارس ومكاتب ونحوهما يهذب من الخلق ويخفف من شره الميل الجنسي وكالتي تزعم أن استحلال الربا ينعش الاقتصاد الوطني ... الخ فهذه المزاعم الباطلة مفاسد لا مصالح، وهي نتاج شهوة أو شبهة، وهي علامة الخذلان. كما قال محمد بن كعب القرظي لما سئل عن علامة الخذلان يعني: الحرمان من توفيق الله وتسديده – قال: "أن يستقبح الرجل ما كان يستحسن! ويستحسن ما كان قبيحا"[٥٧]، قال المتنبي:

يقضى على المرء في أيام محنته ... حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

وهذا من انتكاس الفطرة وخطل القول وفساد الرأي، نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الفساد بعد السداد. وقولي: "الفطر السليمة" أي لا المنكوسة: فطرة الله التي فطر الناس عليها قبل أن يطرأ عليها الانحراف عن الطريق السوي. وقولي: "من الرشاد" أي لا من الغي والفساد كالأمثلة التي سلفت وقولي: "ما يحقق مراد الشارع ومراد العباد" ومراد الشارع: تحقيق

[٥٧] حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج٣ ص٢١٤.

العبودية لله بامتثال أوامر الله تعالى، سواء أدرك العبد حكمتها، كالأعمال المعللة، أو لم يدرك حكمتها كالأعمال التعبدي".[٥٨]

[٥٨] رعاية المصلحة والحكمة في تشريع نبي الرحمة ﷺ المؤلف: محمد طاهر حكيم الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ج١ ص٢٠١

عدم معرفة أصل فنون الخير:

"اعلم أن أصل الأشياء التي تتفرع منها فنون الخير، وتجري بها المنافع، وتصح عليه الأعمال بعد اليقين بمعرفة النعم، والقيام بأداء الشكر، والعمل به، وأن يصح عندك أن جميع الخير مواهب من الله تعالى، وتعلم أن جميع المعاصي كلها عقوبة من الله تعالى، وهي من طريق الخذلان، وذلك من علامات السخط فإذا اعترفت بذلك كثرت حسناتك، وقلت سيئاتك؛ لأنك إذا علمت أن الإحسان نعم ومواهب من الله تعالى ازددت في الشكر، واستقللت كثير شكرك عند صغير نعمة عليك؛ لأن الجبار العظيم من بها عليك، وساقها إليك فقل عندك كثير الشكر، وكبر عندك صغير النعم فجريت حينئذ في ميدان الزيادة من عمل الخير، وعلمت معرفة الرضا، وطمعت في العفو، وإذا علمت أن الإساءة التي اكتسبتها إنما هي خذلان من الله وإنها من طريق السخط فزعت إلى التضرع فنزلت بساحته، وإلى الاستكانة فصحبتها، وإلى التواضع فاتخذته خدنا فإذا كان ذلك كذلك لجأت إلى التوبة فاستجرت بها، ولبست جلباب الحياء مما سلف منك، وشهد الله عليك به، وشاهده منك من الإساءة مع ما تعرف من كثرة إحسانه فلم تتعرض بعد ذلك لشيء مما يكره، وعمدت إلى المعاصي فعاديتها منك، ومن غيرك فتكره أن يعصيه أحد من خلقه كلهم بصغيرة أو كبيرة فراجعت الإحسان مجتهدا، وأنت مع ذلك عارف بالنعمة عليك في

التنبيه والرجوع، وإن ذلك تفضل منه عليك فالتمست لطيف الشكر بعد إقلاعك عن الإساءة بشدة المضادة لها فعظم شكرك عند التحويل إلى الإحسان بعد الإساءة فإذ ذاك قد صرت في جميع أحوالك شاكرا ذاكرا، ولم يعجزك معرفة الإحسان فشكرت حينئذ الشاكر المشكور الذي وعد على الشكر الزيادة، ووعده لا خلف فيه، وعرفت الإساءة من أين كان مخرجها فراجعت الإحسان بالعتاب منك لنفسك، ولمن زين الإساءة لك، ودعاك إليها فهذا الأصل الذي تتفرع منه فنون الخير، وبه تغلق أبواب الشر، أما عن الضلال والهداية والعدل والفضل والتوفيق والخذلان فقد تقدم معنى هذه الألفاظ وهي ستة الضلال ويقابله الهداية: والخذلان ويقابله التوفيق والعدل ويقابله الفضل فالضلال التلف عن الحق والهداية الإرشاد والدلالة عليه والخذلان صرف والإعانة والتوفيق توجه الإعانة والعدل ما للمالك أن يفعله من غير منازع والفضل إعطاء الشيء على غير عوض ولا استحقاق وقد نطق القرآن بأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء من غير إسناد إلى سبب ولا علة "[٥٩]

[٥٩] شرح زروق على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني المؤلف: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، المعروف بـ زروق (المتوفى: ٨٩٩هـ) أعتنى به: أحمد فريد المزيدي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ ج١ ص٥٤

عدم معرفة سقوط الأمة ونهوضها:

"بقدر ما يكون الإصلاح الاجتماعي متوفرة شروطُه، مُتمازجة خصائصُه، متلاقية أبعادُه ومراميه، يقتضي من المصلحين معرفة الأحوال، وأعراضَ المرض، وأسباب الخذلان، فيحاول بذلك الدعاة تحقيقَ الحاجة الإسلامية، وإقامة الأخوة بين المؤمنين. وقد اتضحت هذه الحقيقة لدى المسلمين كافة، وقرر أصولها علم الاجتماع بما ينبغي أن يتوفّر لدى دعاة الإصلاح من ربط أسباب النهوض والسقوط بما تكون عليه العقيدة والدين. فالإسلام هو دين الله الذي جاء به الرسول ﷺ يلقِّن العقيدة الصحيحة، ويملأ النفوس طُهراً، والقلوب تمسُّكاً بما جاء به من مبادئ وحقائق وأصول وقيم حملها الرسول ﷺ أمانة إلى الناس، حماية للأمة من الذوبان في غيرها، ومما يطرأ عليها من انحراف عن منهج الرشاد، يفقدها هويتها، ويُبعدها عن التمسك بدينها الذي رضيَه الله لها وأتم به نعمته عليها."[٦٠]

[٦٠] مقاصد الشريعة الإسلامية المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م دج١ ص٣٢.

عدم الوقوف في وجه الظالم:

"إذا رأيتم أمتي تهاب الظالم أن تقول له إنك ظالم فقد تودع منهم" أي تكفه عن الظلم وتشهد عليه به أو لا تنكر عليه مع القدرة وتودع، بضم أوله بضبط المؤلف والتشديد أي استوى وجودهم وعدمهم. أو تركوا وأسلموا قوله وأسلموا: بضم الهمزة وكسر اللام بينهما سين ساكنة مبني لما لم يسم فاعله: أي خذلهم الله أي، ما استحقوه من النكير عليهم وأستريح منهم وخذلوا وخلى بينهم وبين ما يرتكبون من المعاصي ليعاقبوا عليها وهو من المجاز لأن المعتني بإصلاح شخص إذا أيس من صلاحه تركه ونفض يده منه واستراح من معاناة النصب في إصلاحه. ويجوز كونه من قولهم تودعت الشيء أي صنته في ميدع أي ثوب لف فيه ليكون كالغلاف له: أي فقد صاروا بحيث يتصون منهم ويتحفظ كما يتوقى شرار الناس. ذكره كله الزمخشري وقال القاضي: أصله من التوديع وهو الترك وحاصله أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمارة الخذلان وغضب الرحمن. قال في الإحياء: لكن الأمر بالمعروف مع الولاة هو التعريف والوعظ. أما المنع بالقهر فليس للآحاد لأنه يحرك فتنة ويهيج شرا. وأما الفحش في القول: كيا ظالم يا من لا يخاف الله فإن تعدى شره للغير امتنع وإن لم يخف إلا على نفسه جاز بل ندب فقد كانت عادة السلف التصريح بالإنكار والتعرض للأخطار

المبحث الثاني: رجال ونساء أصابهم الخذلان

قصة عابد حافظ وقع في الخذلان:

قال أبو محمد علي ابن حزم:" وإني لأعلم فتى من أهل الصيانة قد أولع بهوى له، فاجتاز بعض إخوانه فوجده قاعداً مع من كان يحب، فاستجلبه إلى منزله، فأجابه إلى منزله بامتثال المسير بعده، فمضى داعيه إلى منزله وانتظره حتى طال عليه التربص فلم يأته، فلما كان بعد ذلك اجتمع به داعيه فعدد عليه وأطال لومه على إخلافه موعده، فاعتذر ووري، فقلت أنا للذي دعاه: أنا أكشف عذره صحيحاً من كتاب الله عز وجل إذ يقول: (ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم)، طه: ٨٧ فضحك من حضر، وكلفت أن أقول في ذلك شيئاً فقلت:

وجرحك لي جرح جبار فلا تلم ... ولكن جرح الحب غير جبار

وقد صارت الخيلان وسط بياضه ... كنيلوفر حفته روض بهار

وكم قال لي من مت وجداً بحبه ... مقالة محلول المقالة زاري

وقد كثرت مني إليه مطالب ... ألح عليه تارة وأداري:

أما في التداني ما يبرد غلة ... ويذهب شوقاً في ضلوعك ساري

فقلت له: لو كان ذلك لم تكن عداوة جار في الأنام لجار

قصة ورع خذله الله بتعلقه بغلام:

مجالسة الأحداث ومخالطتهم فإن اليسير منه فتح باب الخذلان وبدء حال الهجران ونعوذ بالله من قضاء السوء، قال ابن حزم الأندلسي: "ولي كلمتان قلتهما معرضاً – بل مصرحاً – برجل من أصحابنا كنا نعرفه من أهل الطلب والعناية والورع وقيام الليل واقتفاء آثار النساك وسلوك مذاهب المتصوفين القدماء، باحثاً مجتهداً، وقد كنا نتجنب المزاح بحضرته، فلم يمض الزمن حتى مكن الشيطان من نفسه، وفتك بعد لباس النساك، وملك إبليس من خطامه فسول له الغرور، وزين له الويل والثبور، وأجره رسنه بعد إباء، وأعطاه ناصيته بعد شماس، فخب في طاعته وأوضع، واشتهر بعد ما ذكرته في بعض المعاصي القبيحة الوضرة. ولقد أطلت ملامة وتشددت في عذله إذ أعلن بالمعصية بعد استتار، إلى ان أفسد ذلك ضميره علي، وخبثت نيته لي، وتربص بي دوائر السوء، وكان بعض أصحابنا يساعده بالكلام استجراراً إليه، فيأنس به ويظهر له عداوتي، إلى أن أظهر لله سريرته، فعلمها البادي والحاضر، وسقط من عيون الناس كلهم بعد أن كان مقصداً للعلماء ومنتاباً للفضلاء، ورذل عند إخوانه جملة، أعاذنا الله من البلاء، وسترنا في كفايته، ولا سبلنا ما بنا من نعمته، فيا سوءتاه لمن بدأ بالاستقامة ولم يعلم أن الخذلان يحل به، وأن العصمة ستفارقه!! لا إله إلا الله، ما أشنع هذا وأفظعه!! لقد دهمته إحدى بنات الحرس، وألقت عصاها به أم طبق من

كان الله أولاً ثم صار للشيطان آخراً، ومن إحدى الكلمتين: أما الغلام فقد حانت فضيحته ... وانه كان مستوراً وقد هتكا

ما زال يضحك من أهل الهوى عجباً فالآن كل جهول منه قد ضحكا

إليك لا تلح صبا هائماً كلفاً يرى التهتك في دين الهوى نسكا

قد كان دهراً يعاني النسك مجتهداً يعد في نسكه كل امرئ مسكا

ذو محبر وكتاب لا يفارقه نحو المحدث يسعى حيث ما سلكا

فاعتاض من سمر أقلام بنان فتى كأنه من لجين صيغ أو سبكا

يا لائمي سفهاً في ذاك قل فلم تشهد حبيبين يوم الملتقى اشتبكا

دعني ووردي في الآبار اطلبه إليك عني كذا لا أبتغي البركا

إذا تعففت عف الحب عنك وإن تركت يوماً فإن الحب قد تركا

ولا تحل من الهجران منعقداً إلا اذا ما حللت الأزر والتككا

ولا تصحح للسلطان مملكة أو تدخل البرد عن إنفاذه السككا

ولا بغير كثير المسح يذهب ما ... يعلو الحديد من الأصداء ان سبكا وكان هذا المذكور من أصحابنا قد احكم القراءات إحكاماً جيداً، واختصر كتاب الأنباري في الوقف والابتداء اختصاراً حسناً أعجب به من رآه من المقرئين،

وكان دائباً على طلب الحديث وتقييده، والمتولي لقراءة ما يسمعه على الشيوخ المحدثين، مثابراً على النسخ مجتهداً به، فلما امتحن بهذه البلية مع بعض الغلمان رفض ما كان معتنياً به وباع أكثر كتبه واستحال كلية، نعوذ بالله من الخذلان. وقلت فيه كلمة وهي التالية للكلمة التي ذكرت منها في أول خبره ثم تركتها.".[٦١]

قصة ربيعة بن أمية الجمحي خذله الله تعالى:

وقع في مسند أحمد حديث ربيعة بن أمية بن خلف الجمحي وهو ممن أسلم في الفتح وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وحدث عنه بعد موته ثم لحقه الخذلان فلحق في خلافة عمر بالروم وتنصر بسبب شيء أغضبه"[٦٢]

[٦١] رسائل ابن حزم الأندلسي المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) المحقق: إحسان عباس الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ج١ ص٢٧٨.

[٦٢] فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ ج٧ ص٤.

رجال ونساء ارتدوا زمن نقفور ملك الروم:

حدّث أبو القاسم التنوخي: أنّ نقفور لما فتح طرسوس، نصب في ظاهرها علمين، ونادى مناديه، من أراد بلاد الملك الرحيم، وأحبّ العدل والنصفة، والأمن على المال، والأهل، والنفس، والولد، وأمن السبل، وصحة الأحكام، والإحسان في المعاملة، وحفظ الفروج، وكذا وكذا، وعدّ أشياء جميلة، فليصر تحت هذا العلم، ليقفل مع الملك إلى بلاد الروم، ومن أراد الزنا، واللواط، والجور في الأحكام والأعمال، وأخذ الضرائب، وتملك الضياع عليه، وغصب الأموال، وعدّ أشياء من هذا النوع غير جميلة، فليحصل تحت هذا العلم إلى بلاد الإسلام، فصار تحت علم الروم خلق من المسلمين، ممّن تنصر، وممّن صبر على الجزية، ودخل الروم إلى طرسوس، فأخذ كلّ واحد من الروم، دار رجل من المسلمين، بما فيها، ثم يتوكّل ببابها، ولا يطلق لصاحبها إلّا حمل الخفّ، فإن رآه قد تجاوز، منعه، حتى إذا خرج منها صاحبها، دخلها النصرانيّ، فاحتوى على ما فيها، وتقاعد بالمسلمين أمّهات أولادهم، لما رأين أهاليهن، وقالت أنا الآن حرّة، لا حاجة لي في صحبتك، فمنهنّ من رمت بولدها على أبيه، ومنهنّ من منعت الأب من ولده، فنشأ نصرانيّا، فكان الإنسان يجيء إلى عسكر الروم، فيودّع ولده، ويبكي، ويصرخ، وينصرف على أقبح صورة، حتى بكى الروم رقّة لهم، وطلبوا من يحملهم، فلم يجدوا غير الروم، فلم يكروهم إلّا بثلث ما أخذوه على

أكتافهم أجرة، حتى سيّروهم إلى أنطاكية، هذا وسيف الدولة حيّ يرزق بميافارقين، والملوك كلّ واحد مشغول بمحاربة جاره من المسلمين وعطّلوا هذا الفرض، ونعوذ بالله من الخيبة والخذلان، ونسأله الكفاية من عنده."[٦٣]

[٦٣] معجم البلدان ج٣ ص٥٢٧. نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة المؤلف: المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبو علي (المتوفى: ٣٨٤هـ) عام النشر: ١٣٩١ هج٤ص ٣٨٨.

المبحث الثالث: من أسباب الخِذْلَان

المعاصي والاعجاب بالنفس:

إذا تخلف النصر عن الأمة فلابد أن يكون لذلك سبب، وأسباب الخذلان كثيرة: منها: المعصية. ومنها: الإعجاب بالنفس. فيتكل المرء على ميزاته وينسى التوكل على الله، وقد قال -جلَّ وعلا- (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ). ومنها: عدم سداد الرَّأي والجُبْن: قال ابن القيِّم: "وصحَّة الرَّأي لقاح الشَّجَاعَة، فإذا اجتمعا كان النَّصر والظَّفر، وإن قعدا فالخُذْلَان والخيبة".

عدم الاخلاص والتعلق بغير الله:

ومنها: عدم الإخلاص في الجهاد كالذين يقاتلون لأجل القومية العربية، أو غيرها من القوميات، فإن النصر ليس مضموناً لعدم الإخلاص؛ لكن قد يكون من أجل أن يسلطوا على الآخرين لا انتصاراً لهم، لأن النصر إذا تخلف في هذه الأمة فلابد أن يكون له سبب، وأما إذا قامت الأمة بما قام به نبيها ﷺ وخلفاؤها الراشدون فإنه لابد أن يحصل النصر، ومن تتبع التاريخ علم الشاهد لذلك.

ومنها: التَّعلُّق بغير الله عزوجل: قال ابن القيِّم: "أعظم النَّاس خِذْلَانًا مَن تعلَّق بغير الله، فإنَّ ما فاته مِن مصالحه وسعادته وفلاحه أعظم ممَّا حصل له ممَّن تعلَّق به، وهو معرَّضٌ للزَّوال والفوات. ومثل المتعلِّق بغير الله، كمثل المستظلِّ مِن الحرِّ والبرد ببيت العنكبوت، وأوهن البيوت". ومنها: ضعف الإيمان والاستعانة بغير الله، والاتكال والقوة، ودعم أعداء الله ورسوله ليبقى الطاغية على كرسيه مقيماً.

طاعة الكافرين والتقرب منهم:

ومنها: طاعة الكافرين والمنافقين: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ). ومنها: طاعة الظَّالمين وموالاتهم، قال تعالى" (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ).

ومنها: القرب مِن السِّفْلَة والبعد عن ذوي الأحساب والمروءات: قال الأبشيهيُّ: ‘‘مَن قرَّب السِّفْلَة واطَّرح ذوي الأحساب والمروءات استحقَّ الخُذْلَان" ومنها: التفرق والاختلاف في الدِّين، قال تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ".

السعي وراء الدنيا وكراهية الموت:

يؤكد هذا حديث النبي ﷺ الذي يتحدث عن تكالب أعداء الأمة الإسلامية وتواطؤها على النيل من المسلمين الصادقين أعني أهل السنة والجماعة ممن هم على قدم أئمة المذاهب الأربعة الفقهية والماتريدية والأشاعرة العقدية، والجنيد والجيلاني وأضرابهم الصوفية، واجتهادات ابن تيمية وابن قيم الجوزية والشاطبي وابن حزم في كثير من الفتاوى والأحوال الشخصية.

عدم الرِّضا بالقضاء والقدر:

قال الماورديُّ: "معاند القَدَر مَخْذُولٌ "وقال الطحاوي في عقيدة أهل السنة وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة، فان الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرامه كما قال الله تعالى في كتابه (لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)، وقال: فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائنا لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، وما أخطأ العبد أيكن ليصيبه، وما أصابه لم

يكن ليخطئه، وقال: فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيما، وأحضر للنظر فيه قلبا سقيما لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سرا كتيماً، وعاد بما قال فيه أفاكا أثيماً."[٦٤] قطع الأرحام: قال الماورديُّ: "تعاطف الأرحام، وحميَّة القرابة يبعثان على التَّناصر والألفة، ويمنعان من التَّخاذل والفُرْقة".

والخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه إليه ويقل عوائقك ثم لا ترحل إليه"[٦٥].

صفعة الخذلان من أصحاب السلطة:

لقد تخلى العرب عن مصالحهم ومصالح شعوبهم ولم يحركوا ساكناً لإيقاف المجازر على سورية ووقف السيطرة الإيرانية على العراق سابقاً وسوريا واليمن لاحقاً وكان الاحتلال الأمريكي -فيما يبدو- يدعم مشروع التمدد الصفوي بالعراق ويشجع عليه في محاولة منه لإضعاف منطقة تسمى الشرق الأوسط. ولكي تسيطر إيران على العراق سيطرة نهائية من دون أن يعكر صفوها شيء قامت بهذه المجازر ضد أهل السنة بيد عصاباتها وميليشاتها التابعة لها على مرأى ومسمع من المسلمين والعرب، ولم تتدخل الدول العربية

---

[٦٤] عشرون حديثا من صحيح البخاري دراسة اسانيدها وشرح متونها المؤلف: عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ ج١ ص٢٣٥

[٦٥] فيض القدير شرح الجامع الصغير ج٢ ص٣٠٨.

لدعم أهل السنة بالعراق لمواجهة هذا التطهير المنظم من إيران. وكان من البديهي أن تتدخل الدول العربية ليس لأجل الضمير الإنساني والأخلاقي فقط بل من أجل مصالحها الإستراتيجية على الأقل لا سيما أن المجازر أخذت طابعاً غاية بالوحشية والفظاعة واستخدمت فيها أشد أساليب التعذيب والقتل فتكاً وهو ما يميز الصفويين في حقدهم المتوارث عبر الأجيال، ويظهر عندما تكون لهم بعض القوة. لقد تخلى العرب عن مصالحهم ومصالح شعوبهم ولم يحركوا ساكناً من أجل إيقاف المجازر ووقف السيطرة الإيرانية على العراق. وكان من نتيجة هذا الخذلان لإخوانهم وأهلهم وتركهم يلقوا ما لقوه من الصفويين أن ضاع العراق وتوسعت الدولة الفارسية الصفوية على حساب دولة تعتبر من أهم الدول العربية بعد قتل أكثر من مليون وتهجير أضعافهم من أهل السنة، وهو ما جعل إيران وعصاباتها الحاكمة بالعراق يشعرون بالنشوة والقوة التي لم يتخيلوا أن يحصلوا عليها منذ قرون طويلة.

وما كان لهم أن يحصلوا على تلك القوة لولا الدعم الأمريكي لهم وتخاذل المسلمين والعرب عن نصرة أهل السنة. واليوم يتكرر نفس المشهد ولكن مع اختلاف المعالم والقوى المشاركة في قتل أهل السنة في سوريا بعد أن تخلى العرب عن أهل السنة بالعراق، وتركوا العراق فريسة سهلة لإيران تفعل فيه ما تريد.

خذلان أهل الشرف:

الشرفاء في سوريا يتم ذبحهم وانتهاك أعراضهم وتعذيبهم وقتلهم بأبشع الطرق على يد عصابات إيران الصفوية من العراق إلى لبنان والدول العربية والعرب يقفون موقف المتفرج على ما يصيب إخوانهم ويظنون أنفسهم بعيدين عنه وأن إيران سوف تكتفي بسوريا فقط، إن نصرة الشعوب المسلمة والعربية لأهل حلب إنما هو إنقاذ لأنفسهم وبلادهم من أن يصيبهم ما أصاب شعب سوريا فضلاً عن كونه واجب عليهم. هل تظنون أنكم بعيدين عما يصاب به أهل حلب من قتل وجوع وانتهاك للأعراض على أيدي الصفويين الحاقدين حتى تتركون إخوانكم فريسة للمجرمين الصفويين الذين والى بعضهم بعضاً واجتمعوا على أهل سوريا كما تركتم من قبل أهل العراق وتظنون أنفسكم بعيدين عما أصابهم.

صفعة المجوس:

وما زال العرب غير مدركين لمشروع إيران الذي يستهدف السيطرة على المنطقة بأسرها وعلى رأسها الخليج فهم يعتبرون أن هذه المنطقة هي رأس العالم الإسلامي وبالسيطرة عليها تسيطر على العالم الإسلامي ككل. إن نصرة الشعوب المسلمة والعربية لأهل حلب إنما هو إنقاذ لأنفسهم وبلادهم من أن يصيبهم ما أصاب شعب سوريا فضلاً عن كونه واجب عليهم،

فليس لأحد منة وفضل على أهل سوريا بهذه النصرة فلا تقفوا تنتظرون حتى تغرقوا بالدماء التي غرقوا بها، إن نصرتكم لأهل حلب هي نصرتكم لأنفسكم وإحياء لضمائركم قبل أن تكون لشعب سوريا، فأنتم تنقذون أنفسكم وتنقذون دينكم ودنياكم قبل كل شيء وإلا فالله ناصرهم."[٦٦]

[٦٦] لا تتعجب من خذلان وصمت العرب! معتصم كمال طالب في كلية الهندسة مهتم في مجال أمن المعلومات

المبحث الرابع: أقوال السَّلف والعلماء في الخِذْلَان

النفاق خذلان:

عن أنس أنَّ أبا طلحة قال: (غشينا ونحن في مصافِّنا يوم أحد، حدَّث أنَّه كان فيمن غشيه النُّعاس يومئذ، قال: فجعل سيفي يسقط مِن يدي وآخذه، ويسقط مِن يدي وآخذه، والطَّائفة الأخرى -المنافقون- ليس لهم همٌّ إلَّا أنفسهم، أجبن قوم، وأرغبه وأخذله للحقِّ"[٦٧]

ظفر الهوى خذلان:

- وقال علي بن عبيدة: "العقل والهوى ضدَّان فمؤيِّد العقل التَّوفيق، وقرين الهوى الخِذْلَان، والنَّفس بينهما، فأيهما ظفر كانت في حيِّزه" - وقال قتيبة بن مسلم: "ومَن تبجَّح بالانفراد، وفَخَر بالاستبداد كان مِن الظَّفر بعيدًا، ومِن الخِذْلَان قريبًا".

تنقيص الرجولة خذلان:

قال ابراهيم بن السندي: حدثني عبد الملك بن صالح قال: بينا عيسى بن موسى قد خلا بنفسه، وهو قد كان استكثر من النساء حتى انقطع، إذ مرت به جارية كأنها جان، وكأنها جدل عنان، وكأنها جمارة، وكأنها قضيب

[٦٧] أخرجه البخاري والترمذي واللفظ له وأحمد.

فضة، فتحركت نفسه، وخاف أن تخذله قوته، ثم طمع في القوة لطول الترك، واجتماع الماء، فلما صرعها، وجلس منها ذلك المجلس خطر على باله لو عجز كيف يكون حاله؟ فلما فكر فتر، فأقبل كالمخاطب لنفسه فقال: إنك لتجلسيني هذا المجلس، وتحمليني على هذا المركب، ثم تخذليني هذا الخذلان وتغشيني مثل هذا الذل، ولولا حيرة الخجل لم أستعمل ما لا يقتل! وذلك أنه حين رأى أن أبلغ الحيل في توهيمها أن العجز لم يكن من قبله أن يقول لها: تعرضين لي وأنت تفلة، ثم لا ترخين باديك، ولا تستهدفين لسيدك، ولا تعينين على نفسك، حتى كأنك عند عبد يشبهك، أو سوقة لا يقدر إلا على مثلك. أما لو كنت من بنات ملوك العجم لألفاك سيدك على أجود صنعة، وعلى أحسن طاعة، إذ كل رجل ينبسط للتمتع مع التفل"[٦٨].

التباطؤ في النصرة خذلان:

"خطب علي حين قتل عامله بالأنبار فقال في خطبته: يا عجباً من جد هؤلاء في باطلهم وفشلكم عن حقكم! فقبحا لكم وترحاً حين صرتم غرضا يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون.

---

[٦٨] رسائل الجاحظ المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة عام النشر: ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ مج٣ ص١٥٦

إن أمرتكم بالمسير إليهم في الحر قلتم: حمارة القيظ، أمهلنا حتى ينسلخ الحر، وإن أمرتكم بالمسير إليهم في الشتاء قلتم: أمهلنا حتى ينسلخ الشتاء هذا أوان قر؛ كل هذا فرارا من الحر والقر، فأنتم والله من السيف أفر، يا أشباه الرجال ولا رجال! أحلام الأطفال وعقول ربات الحجال؛ أفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان، حتى قالت قريش: ابن أبي طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب. لله أبوهم! هل منهم أحد أشد لها مراساً وأطول تجربة مني؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين فها أنا الآن قد نيفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع."[٦٩]

تمجيد الكذب خذلان:

"وكان ركن الدّولة يقول: منافع الكذب في وزن منافع الصّدق، ولو ارتفع جملةً لبطل الانتفاع كله بالدّين والدنيا؛ هذا قاله بالفارسية، ولكن حكاه لي ابن مكرّم الكاتب، وكان خصّيصاً به أثيراً عنده. فأما أبو عبد الله المحتسب بفارس، وكان يعرف بجراب الكذب، فإني سمعته يقول: إن منعت من الكذب انشقّت مرارتي، وإني لأجد به مع ما يلحقني من عاره ما لا

[٦٩] عيون الأخبار، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت تاريخ النشر: ١٤١٨ هـج٢ ص٢٥٨.

أجد من الصّدق مع ما ينالني من نفعه؛ وهذا غاية الشّقاء ونهاية الخذلان، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم."[٧٠]

مخالفة الاعتقاد خذلان:

قيل لمحمد بن كعب القرظي: ما علامة الخذلان؟ قال: أن يستقبح المرء من الأمر ما كان عنده حسناً ويستحسن ما كان عنده قبيحاً.[٧١] الخذلان كل الخذلان في الحرص على سماع الحكمة مع مخالفتها. الإصرار على الشر مع تمني الإقلاع عنه زيادة في الشر. العكوف على الخير مع الشك خسران العاجلة والآجلة. تمني الخير في الظاهر مع ملابسة الشر في الباطن معاندة. تقبل الاهتمام بالخير مبدأ، والاهتمام بالشر غاية، المعطي لا يتبع المعطى ولا العطاء.[٧٢] وقالوا:" لا يفارق الاعتصام بحبله مفارق إلا حالفه الخسران، وعانقه الخذلان، ورصدت له المنون، ولمحته الحرب الطاحنة.

---

[٧٠] البصائر والذخائر المؤلف: أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـ) المحقق: د: وداد القاضي الناشر: دار صادر – بيروت لطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ج٧ ص٢٩١.

[٧١٧١] نثر الدر في المحاضرات المؤلف: منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبي (المتوفى: ٤٢١هـ) المحقق: خالد عبد الغني محفوظ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت /لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤مج٤ ص١٣٥

[٧٢] المقابسات المؤلف: أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـ) المحقق: حسن السندوبي الناشر: دار سعاد الصباح الطبعة: الثانية، ١٩٩٢ مج١ ص١٥١

الخاتمة

الخِذلان هو: أن يخلي الله بين العبد وبين نفسه، فلا يعرِّفه الحق، ولا يعصمه من المعصية، ولا يعينه على الطاعة. وردت ألفاظ الخِذلان في القرآن الكريم بطريقتين: ١- ألفاظٌ صريحة: وهي ألفاظٌ وردت بذكر لفظ الخِذلان صريحاً. ألفاظ غير صريحة: وهي ألفاظٌ وردت في سياقات مختلفة لكن مؤدّاها – من خلال السياق- مطابقٌ لمعنى خذلان الله للعبد. ومنها: النسيان، عدم النصرة، الترك. من أبرز صورأو علامات الخِذْلان في القرآن: موتُ القلب وضلالُه.

٢- الحِرمان من الهداية.

٣- تركُ المخذولين ونسيانُهم في أوقات المحن ونزولِ العذاب.

من أسباب خِذلان الله لعبده:

١-الاجتراء على معصية الله وانتهاك حرماته.

٢- طاعة الكافرين والمنافقين.

٣- الركون للظالمين.

٤- الكِبر.

٥- العُجب.

٦- اتباع الهوى.

٧- الإعراض عن ذكر الله، ونسيان آياته.

٨- التَّعلُّق بغير الله عزوجل.

٩- نسبةُ الفضل لغير الله وجحود نعمته.

١٠- التسويف في التوبة، والتباطؤ في الاستجابة لأوامر الله

١١-الترك والنسيان.

١٢- عدم النصرة".

فهرس المحتويات

المقدمة ٢

الفصل الأول: تعاريف ومفاهيم ٩

المبحث الأول: تعريف الخذلان ٩

المبحث الثاني: بين النصرة والخذلان ١١

المبحث الثالث: من صور الخِذْلَان ١٥

المبحث الرابع: الخذلان الشخصي والفقهي ٣٠

الفصل الثاني: الخذلان المعرفي والعلمي، وفيه مباحث: ٤٤

المبحث الأول: الخذلان المعرفي ٤٤

المبحث الثاني: رجال ونساء أصابهم الخذلان ٥٥

المبحث الثالث: من أسباب الخِذْلَان ٦١

المبحث الرابع: أقوال السَّلف والعلماء في الخِذْلَان ٦٨

الخاتمة ٧٢